# الدرس العقديّ عند الشيخ إبراهيم بيّوض
# وأبعـــاده الوظيفيّة

د. حمو بن عيسى الشيهاني
جامعة الجزائر

تتناول هذه المداخلة استكشافَ معالم الدرس العقديّ عند أحد أعلام الجزائر، الشيخِ إبراهيم بيّوض، أحدِ مؤسِّسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين، ورائدِ النهضة الإصلاحيّة في الجنوب الجزائريّ، وتحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

– ما هي ظروف نشأة الشيخ إبراهيم بيّوض؟

– كيف كان يَعرض مسائل العقيدة الإسلامية؟

– وهل للدرس العقديّ عندَه معالمُ متميّزة؟

– وما مدى ربطه بين الأصول العقديّة وحركته الإصلاحيّة؟

ولد الشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض بمدينة القرارة (ولاية غرداية) بالجنوب الجزائريّ في العَقد الثاني من القرنِ الرابعَ عشرَ الهجريِّ ونهايةِ القرنِ التاسعَ عشرَ الميلاديِّ، (1316هـ/1899م) في عهد الاحتلالِ الفرنسيِّ الذي طبع الحياةَ العامّة بآثاره السلبية، التي لم تَسلَم من شرِّها مناطقُ الجنوب الذي استحوذ عليه الحكمُ العسكريّ، ومن هذه

الآثار رِقّةُ حبل العلم وانحسارُه ليفسح المجال لاستشراء الأمية واستئساد الأعراف والتقاليد والتعصّب للمألوف التليد.

في هذه الظروف السياسية والفكرية نشأ إبراهيم وترعرع وتلقى العلم عن تلاميذ الشيخ اطفيّش، الذي كان له تأثير بليغ في مسيرته العلمية الدَعَويّة، فقد كان الشيخ بيّوض يعتبر حركته الإصلاحية امتدادًا لحركة القطب، إذ يقول: «نهضتنا اليوم استمرارٌ للنهضة الدينية والعلمية التي بدأها الشيخُ يحيى بن صالح الأفضليّ والشيخُ عبد العزيز الثميني ورفع لواءها بعدهما شيخُنا اطفيّش رحمهم الله جميعًا»[1].

أولى الشيخ بيّوض عناية كبرى للجانب العقديّ، ولو أنه لم يؤلّف كتابًا في العقيدة، إلاَّ أنه اجتهد في ترسيخها في القلوب فجعلَها منطلَقًا لتغيير الطباع وإصلاح الأوضاع، فكان يقول عن نفسِه: «شُغِلتُ عن تأليف الكتب بتأليف الرجال»، أمّا عن منابر رسالته فهي: المسجد أولا، ثمَّ التعليم بالمعهد ثانيا، ثمَّ المجتمع العامّ ثالثا.

كانت العقيدة حاضرةً في جلّ دروس الشيخ بيّوض، خاصّةً درسَ التفسير، فكان يجتهد في إحكام الصلة بين مختلِف المواضيع بمرجعيّتها الإيمانيّة، وإذا كان الموضوع عقيدةً ركّز على إبراز أبعاده الوظيفيّة، فلم تكن غاية الدرس العقديّ عند الشيخ بيوض شحن الذهن بالمعرفة المجرّدة، بل كان يهدف منه إلى تزكية النفس وإفراد الله بالعبادة الشاملة لكلّ المجالات المناسكيّة والحياتيّة، «فإذا لم يسيطر التوحيد عَلَى القلب والجوارح، ويتحوّل إِلَى قوةٍ باعثةٍ إِلَى العمل الصالح فلا قيمةَ له»[2]، فإذا استحضر العالِمُ مقاصدَ الدين العامّة، وهو

(1) محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1400هـ/1980م: 141/4.

(2) محمد الغزالي، عقيدة المسلم: 136.

يتناول بالدراسة قضاياه الأصولية أو الفرعية، تخطَّى الرؤية الجزئية للنصوص من جانب، والرؤية الجزئية لقضايا المجتمع من جانب آخر، وتجاوزهما إلى رؤية شاملة للنصوص ولقضايا المجتمع الواقعة أو المتوقَّعة، وهكذا عرض الشيخ بيّوض مسائل الاعتقاد، وسيتّضح ذلك من خلال النقاط الآتية:

## أوّلاً: الهدف الإصلاحيّ

خلق الله الإنسان وجعله في الأرض خليفة، ومما يقتضيه هذا الاستخلاف عدم تصرّف الإنسان إلاَّ على الطريقة التي يرتضيها مستخلِفه، فحرية الإنسان في الأرض منضبطة بالحدود التي وضعها المالك الحقيقيّ، وقد أوصى الإنسانَ في مواضع عديدة من كتابه بالتزام الوقوف عند هذه الحدود، وينذره بحلول عقابه إن تجاوزها، ومن ذلك قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة:229)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَّعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء:14) فلا يستحق اسمَ "خليفة الله" إلا من عرف الله ربَّ العالَمين وأسلمَ له وجهه، والتزمَ حدوده في محراب الصلاة وفي محراب الحياة[1]؛ وقد اشترط الله الإيمان والعمل الصالح – بمفهومه الواسع- لإنجاز وعده بالاستخلاف في الأرض والتمكين للدين، حيث يقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:55)

(1) إبراهيم بيّوض: المجتمع المسجديّ: درس يوم: 1973/5/18، قرص مدمج، تسجيلات الحياة- القرارة.

يقصد الشيخ بيّوض من الدرس العقديّ صلاحَ الأعمال وتحقيقَ الاستقامة التي تعدّ ثمرةَ الإيمان الصحيح، ويتجنّب المشاحَة في الألفاظ- ولو خالف مشهور مذهبه الإباضيّ- ما لم يؤدِّ ذلك إلى محذور مخالفة النصوص القطعية والمقاصد العامّة للدين.

عندما يعرض الشيخ بيّوض مسألة الإيمان وعلاقته بالعمل — مثلاً- لا يركز على نقطة اقتضاء العطف بينهما المغايرةَ أو عدَمَها، بل يركّز على ضرورة تلازمهما وعدم جدوى أحدهما دون الآخر[1]. فكان الشيخ يركز عنايته — فِي عرض العقيدة – على المسائل التي تتجلّى آثارها فِي الصلاح والاستقامة، ودعاه هدفه الإصلاحيّ إلى عدم التقيّد بما انضاف إلى التعريفات من قيود، فلم يكن قصدُه من درس العقيدة ترتيب مسائلها وضبط تحديداتها وصناعة الردود على المخالفين فيها، إنما كان هدفه الإصلاح الشامل، توسّل إلى تحقيقه بتفعيل العقيدة وتحريك الإيمان في القلوب، ليقينه بأنَّ ذلك أحسن طريقة لتخطي العقبات الكؤود، وتحطيم الحواجز الوهمية التي كان للتراث العقديّ دورٌ كبير في نصبها، فحالت بين العبد وبين بلوغ العديد من مقاصد الدين، منها "الوحدة الإسلامية"، فما هي جهود الشيخ بيّوض في سبيل تحقيقها؟.

**ثانيًا: أساليب تحقيق الوحدة الإسلاميّة من خلال الدرس العقديّ**

تحقيق مقصد الوحدة الإسلامية من أهمّ أهداف الشيخ بيّوض من حركته الإصلاحية، دعا إليها في دروسه وجسّدها في مواقفه، فهو يعتقد بوجوب وحدة الأمة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(الأنبياء: 92) فما دام الله متفرّدًا بالربوبية والألوهيّة فينبغي ألا يكون فِي الأرض إلاَّ أمةٌ واحدةٌ تدين لله

(1) إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الكهف356/2؛ الفرقان: 96/7؛ الأحزاب 231/12؛ الشورى:17/ 269-270.

بالخضوع والذلّة[1]، وكان الشيخ يحرص «على توحيد الصفّ حرصَه على توحيد الربّ، فقد كان يرى أَنَّ من مكملات إيمان العبد، بل من مقوّماته، لمَّ الشعث ورأبَ الصدع وتأليف العناصر، ووقفتُه التاريخيّةُ المشهورة فِي سبيل وحدة الشمال والجنوب فِي الظرف العصيب أعظم شاهد»[2].

لا يكفي الأمةَ أن تتّحِد من أجل قضاء مصالحها المادية الآنية فحسب، بل يجب أن تؤسّس وحدتها عَلَى أصول الدين الثابتة، «ولا شيء موحَّد وموحِّدٌ إلاَّ دين الله الواحد، فهو الواحد، ودينه الواحد، يجمع المسلمين الذين يتبعون هذه الفطرة، ويقيمون وجوهَهم للدين حنيفًا»[3].

عقيدة الإسلام سببٌ قويٌّ لتحقيق الوحدة الصادقة بين جميع أتباعها، وإذا حدثت عداوة بينهم باسم الدين —كما هو واقع المسلمين– فعلّتها راجعة إِلَى المسلمين لسبب سوء فهمهم الدين، وليس إِلَى العقيدة من حيث إنها عقيدة، فدَور العلماء المجدّدين إعادةُ تقديم العقيدة وتقريرها عَلَى ركيزتي العلم والإخلاص لتصنع —بإذن الله– ما صنعته فِي فجر هذه الأمة المجيد من الفيض الإيمانيّ وتأليف القلوب والحركة الإيجابية فِي الحياة والسموّ فِي تحقيق التديّن لله.

فالمحبّة التي ينبغي أن تسودَ أفراد الأمة الإسلامية قاطبةً محبّةٌ فريدة من نوعها، فليس هو حبًّا متكلَّفًا ولا مصلحيًّا إنما هو نابعٌ من القلب العامر بالإيمان الصادق، غامرٌ لكلّ

(1) فِي رحاب القرآن، سورة الأنبياء: 202/4.

(2) حمو بن عمر فخار، كلمة فِي تأبين الشيخ بيّوض، فِي رحاب القرآن (المهرجان والتأبين) إعداد: محمد صالح ناصر: 128.

(3) فِي رحاب القرآن، سورة الأنبياء: 202/4.

من تجمعهم العروةُ الوثقى كلمة "لا إله إلاَّ الله" «ولنفهم جيّدًا ولندرك تمام الإدراك فلسفةَ الحبِّ فِي الله والبغض فِي الله، **فالمؤمن أخو المؤمن فِي أيّ زمانٍ وأيّ مكان** يدعو بعضهم لبعضٍ، وقد علّمنا الله أن ندعو لمن قبلَنا فِي قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾(الحشر: 10)»[1].

مهما اختلف المسلمون فِي الأمور الظنية فعلى كلّ منهم أن يعرف للآخر حقَّ الإسلام، فالمخالف فِي الرأي والاجتهاد مهما اشتط فِي رأي لا يبلغ درجة المنافقين الذين كان رسول اللهﷺ يعاملهم بالحسنى ويضمن لهم حقوقهم الدنيوية.

يضع الشيخ بيّوض مقصد "الوحدة الإسلامية" نصب عينيه وهو يدرسُ قضايا العقيدة، مؤمنًا بكون الوحدة الصادقة من ثمرات التوحيد الخالص، ويتّضح ذلك من خلال الآتي:

### 1- الكفّ عن القول بغير علم

توقّف الشيخ بيّوض عن الخوض فِي المسائل الجزئية التي لم يرد فيها دليل قطعيّ، معتقدًا أنَّ البحث فيها لا يخرج بنتيجة يقينية تطمئنُّ إليها النفس، بل يفتح الباب واسعًا للقول بالرأي فِي ما لا يدرَك إلاَّ بالوحي، فينتج البحث عن اختلافٍ فِي الرؤى، ينتهي إلى التنازع والخلاف اعتبارًا لكون موضوع الجدال مسألةَ اعتقاد، ومن المسائل التي توقّف الشيخ بيّوض عن الخوض فيها معرفة حقيقة كلام الله، حيث فوّض فيه الأمر إلى الله تعالى، وانتقد

(1) في رحاب القرآن، سورة مريم: 3/198-199.

الخائضين فيه بقوله: «فأنتم الذين خضتم فِي الكلام وتنازعتم فيه، وكفّر بعضُكم بعضًا[1] وقتل بعضُكم بعضًا من أجله..»[2].

ومن تفريعات هذه القضية التي توقّف الشيخ بيّوض عن الخوض في تفاصيلها مسألة كلام الله عزّ وجَلَّ موسى عليه السلام، حيث رفض البحث عن كيفية سماعه ولغته وجهته... معلّلاً أنّ البحث فِي مثل هذه القضايا اتباعٌ للظنّ، وسببٌ لتشتيت وحدة المسلمين، معتبرًا بمحنة الإمام أحمد رحمه الله، «وكلّ هَذَا دخولٌ فيما لا يعني، بل لا نحترس أن نقول: إنه دخولٌ فيما لا يجوز، فمن أين أن نعرف؟ "فالعجز عن إدراكه إدراك والخوض فِي إدراكه إشراك"، وخاصة فِي مسألة الكلام التي طال فيها الجدال عَلَى أيدي أناسٍ دخلوا الإسلام لإفساد الإسلام، وخلقوا الفتنة التي ابتلي بها كثيرٌ من الناس فِي زمان مضى، كما ابتليَ البلاءَ الكبيرَ التقيُّ الورعُ المتمسّكُ بالسنة الإمامُ أحمدُ بن حنبل رحمه الله»[3]، فموقف الشيخ بيّوض هو النهي عن الخوض فِي كلام الله، والاكتفاء بالتصديق والتسليم، لأن الخوض فِي مثل هَذَا مما هو خارجٌ عن نطاق العقل البشريّ لا يورث إلاَّ

(1) القاضي عبد الجبار: المجموع فِي المحيط بالتكليف، تصحيح الأب جين يوسف هوبن اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت. لبنان. د.ت.ن: 345/1.

(2) في رحاب القرآن، سورة القصص: 360/8، ولأبي الحسن الأشعريّ ردّ جميل على الذين يدينون بتكفير المخالف فِي هذه المسألة. (أبو الحسن الأشعري: رسالة فِي استحسان الخوض فِي علم الكلام، مطبوعة ملحَقة بكتابه " اللمع": 95-97).

(3) في رحاب القرآن، سورة القصص: 359/8.

الحيرة والفرقَة[1]، يقول في ذلك: «والله ما كان ينبغي ذلك الجدل، ويجب أن يُطوى ولا يذكر، لأنه ما شتّت المسلمين إلاَّ هو»[2].

### 2- الاجتهاد والاعتراف باجتهاد الآخَر

عَلَى المسلم المجتهد أن يبحث عَن أسرار التعبير القرآنيّ ويستنبط الأحكام والحِكم، «وإذا انتهى أحدٌ إِلَى معنى أو حكمة فلا يجوز الاعتقاد أن لا معنى وراء ذلك»[3]، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:76).

### 3- التأويل وعدم القطع بخطأ المخالف

للعلماء حقُّ البحث والاجتهاد في فهم مراد الله من كلامه، ويرى الشيخ بيّوض أنه لا حرج في اختلافهم في التأويل ومحاولة الفهم بشرطين:

أولاً: أن لا يؤدّي التأويل إِلَى وصف الله بما لا يليق به، كالتجسيم مثلاً، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ثانيًا: «أن لا يُعتَمد عَلَى قول من الأقوال، ويُعتَقَد اعتقادًا راسخًا أَنَّ هذا هو الحقُّ، وغيرُه هو الباطلُ»[4] فما انتهى إليه المجتهد من تأويلٍ أمرٌ ظنّيٌّ، يَحتمل أن يجانبَ الصوابَ، فمن الحقِّ الإنصافُ وعدمُ تخطئةِ المجتهدِ المخالفِ فِي المسألة، ولهذا المنهج أبعادٌ منها غلقُ بابٍ عريضٍ للفتن والنزاعات، ذلك أنّ **قطعَ عذر المخالف فيما يجوز فيه الاختلاف** يُعدّ نواة الخلاف المذهبيّ، والسبب الرئيس لتشتيت المسلمين.

---

(1) في رحاب القرآن، سورة مريم: 240/3؛ طه: 240/4؛ القصص: 359/8.

(2) في رحاب القرآن، سورة القصص: 360/8.

(3) في رحاب القرآن، سورة مريم: 22/3.

(4) في رحاب القرآن، سورة السجدة: 37/12.

### 4– عدم إلزام المخالِف بما لا يدين به

من أكبر أسباب الخلاف المذهبيّ إلزام المخالف فِي الرأي بما لا يُقرّ به ولا يَدين، والمنصف المجانب لهذا الإلزام يسهم فِي القضاء عَلَى شقّة الخلاف ويدعو إِلَى الائتلاف، وذلك منهج الشيخ بيّوض حيث يعتبر إلزامَ الأطراف الأخرى ظلمًا، ومن ذلك قوله بعد تقرير موقف مذهبه الإباضيّ فِي مسألة "الاستواء على العرش": «أما غيرهم... فنحن لا نضلّلهم ولا نتّهمهم أبدًا بأنهم مشبّهة، فهذا ظلم، هذا وإننا لم نَر عالما من علماء أهل السنة، أو من انشقّ منهم–كالأشاعرة– لا ينزّه الله تعالى عن الأقطار والجهات، وعن الحدّية والتصوير، والاستقرار فِي مكان، **وهذا المصرَّح به فِي كتبهم**، فهم ينزهون الخالق تنزيهًا عجيبًا، ويفوّضون الأمر إليه فِي هذه الأمور الغيبيّة، وهذا هو الواجب» [1].

***من مزايا هذا المنهج***

أ– الاطّلاع عَلَى أقوال علماء المذاهب فِي مظانّها مباشرةً، وليس بواسطة كتب مخالفيهم.

ب– تقديم التصريح عَلَى الإلزام بما لم يُصرَّح به.

ولو اتّبع كتّابُ المقالات وغيرُهم من الدارسين للفرق والمذاهب هذا المنهجَ لانسدّت كثيرٌ من أبواب الفتن والخلافات الوهمية.

### 5– القيام الجماعيّ بشرائع الدين

يرى الشيخ بيّوض أنَّ من أهمّ أسباب جمع شمل المسلمين وتوطيد روابطهم قيامَهم الجماعيّ بشرائع الدين، كصلاة الجماعة والحجّ والصوم، واصطَلَحَ عليها بـ "فتنة التشريع" التي يبتَلى بها صدقُ الإيمان، «فلو فرضنا أَنَّ الإيمانَ هو مجرّد قول" لا إله إلاَّ الله" فقط من

(1) في رحاب القرآن، سورة السجدة:33/12.

غير تشريع مطلَقًا فلا يمكن أن تكون جماعةٌ مسلمةٌ...»[1]، فوحدة المسلمين وتناصرهم وتعاونهم تتجلّى عند القيام بشرائع الدين، ومراعاةً لهذا المقصد حرّض الشيخ بيّوض المسلمين عَلَى أداء صلاة الجماعة فِي مساجد الله بصرف النظر عن مذهب القائمين بشؤونها.

وفي مسألة الصوم والإفطار –مثلاً– اعتبر مبدأ الوحدة الإسلامية فأفتى بجواز «الصوم والإفطار بالحساب الفلكي تأكيدًا لاتّحاد الأمّة، ودفعًا للتفرّق والشقاق الذي كان يحدث فِي رمضان والأعياد بالاختلاف فِي إثبات رؤية الهلال»[2]، كما أصدر مجلسُ الشيخِ "عمّي سعيد" الهيئةُ الدينية العليا لإباضية الجزائر–فِي فترة رئاسة الشيخ بيّوض– فتوى العمل بنداء السلطان بالصوم والإفطار.

وتندرج ضمن هَذه الأبعاد فتواه بوجوب صلاة الجمعة، وإقامتها –بالفعل– فِي وادي مزاب بعد أن تُركت لعهود طويلة استنادًا إِلَى فتوى عدم استيفاء شروطها، فرأى الشيخ بيّوض أن استصدار فتوى في الموضوع وتبيينها للناس من أوكد الواجبات عليه أمام الله وأمام التاريخ[3].

أفتى الشيخ بوجوب صلاة الجمعة وشرعَ في إقامتها بمسجد القرارة يوم الفاتح من محرم عام1391هجريّ، الموافق ليوم 27 فيفري 1971ميلادي[4]، كما أفتى للإباضية

(1) في رحاب القرآن، سورة العنكبوت: 25/9.

(2) محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح:75/5.

(3) إبراهيم بيّوض، حديث الشيخ الإمام فِي صلاة الجمعة وما لها من الأحكام، الحلقة الثانية، إعداد وتنسيق الشيخ محمد إبراهيم سعيد (كعباش)، مطبعة النخلة، بوزريعة– الجزائر، نشر جمعية النهضة– العطف– غرداية. (د.ت.ن). ص:08.

(4) حديث الشيخ الإمام :47.

المنتشرين فِي المدن الجزائرية أن يؤدّوها فِي المساجد الجامعة – لا فِي مصلّياتهم الخاصّة – اقتداء بسنّة النبيء ﷺ مع صحابته من سكان الأحياء المجاورة للمدينة المنورة، وحرصًا منه عَلَى كسر الحواجز الوهمية التي يفرضها التعصّب المذهبيّ والتنافر بين أبناء الأمّة الواحدة، حيث يقول: «فلنطّرح عن أنفسنا الوساوس، فإنّ المسلمين اليوم فِي أمسّ الحاجة إِلَى ما يوحّد صفوفهم ويجمع شتاتهم، والمساجد كلّها لله، وهي أشرف مكان يلتقي فيه المسلمون عَلَى محبّة الله ورسوله وأخوّة الدين والإيمان، هَذَا هو القول الفصل فِي هذه القضية، حَتَّى تكونوا مطمئنّين»[1].

لاقت هذه الفتوى تجاوبًا حسنًا من قِبَل علماء الجزائر منهم الشيخ أحمد حماني الذي اعتبرها خطوةً شجاعةً فِي درب الاستجابة لدعوة الله، حيث يقول عنه: «فلو لم تكن لهذا الرجل إلاَّ منقبتان لكفاه أن نشهد له بالخير ونزكّيه: يوم قال لفرنسا التي أرادت أن تفصل الصحراء عن الجزائر: "**لا**، الصحراء قطعة من الجزائر، وسكان الصحراء جزء من سكان الجزائر"، والثاني هو إحياء صلاة الجمعة، لتكون صلاة الجمعة قائمةً فِي مزاب كما تقام فِي كلّ القطر»[2].

شرح فتح الباري فِي المسجد:

تجاوز الشيخ بيّوض مرحلة الخطاب النظريّ في الدعوة إِلَى الوحدة الإسلامية وسعى إِلَى تجسيدها من خلال مواقفه الميدانية ومشاريعه الإصلاحية ومن ذَلكَ تدريسُه بمعهده كتباً

(1) حديث الشيخ الإمام: 52.

(2) أحمد حماني، كلمة فِي تأبين الشيخ بيّوض : فِي رحاب القرآن (المهرجان والتأبين)، إعداد: محمد صالح ناصر:109.

لعلماءَ من خارج المذهب الإباضي، منها "رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده[1]، واهتداؤُه إِلَى تدريس كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، فِي المسجد الكبير بالقرارة لمختلف طبقات المجتمع، ودام تدريسه خمسة عشر عامًا، من سنة 1350هـ/1931م إِلَى سنة 1364هـ/1945م؛ وذلك بعد تدريس مسند الإمام الربيع بن حبيب، وكلّ ذَلكَ موازاة مع تفسير القرآن الكريم الذي أعطى له حياته كلّها.

لقد درس الشيخ "فتح الباري" في المسجد «حتى يقضيَ عَلَى بعض الأفكار والمواقف الجامدة المتعصبة، وليكسرَ الحواجز الوهمية التي تقف دون وحدة المسمين وتعاونهم من أجل الصالح العامّ، وقد لاقى الشيخ إبراهيم بيّوض فِي شقّ طريقه الإصلاحيّ هذا، معارضةً شديدةً إِلَى حدّ اتهامه بالمروق من الدين...»[2].

لم يكن تدريس هَذَا الكتاب دورةً فِي روايته فحسب، بل انصبّ فيه جهد الشيخ خدمةً للهدف الإصلاحيّ، فجاءت دروسه حيويّة هادفة، يهدي أمّته دربَ الوسطيّة ويرقى بها إِلَى رحابة المعرفة والتعاون العامّ، ولعلّ من بواكير هذه الخاصية فِي منهج الشيخ بيّوض إعداد أجيالٍ من الطلبة الفاعلين أمثال الأستاذ عليّ يحيى امعمّر اللّيبِيِّ الذي دعا إِلَى تحقيق الوحدة الإسلامية بانتهاج الثلاثية العلمية العملية: "المعرفة — الاعتراف– التعارف"؛ والشيخِ حمو فخار الذي يرى أنّ أولى الخطوات العملية لتحقيق الوحدة أن تَأوي مدرسة واحدة أبناء البلدة جميعًا، ليشبّوا متعارفين متآلفين ويعملوا في المستقبل متساندين متآزرين، واعتبر التعدّد المذهبي حاجزا وهميًّا دون تحقيق الوحدة، حيث يقول: «ألأجل هذا الوهم تخالفنا

(1) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر:30/2.

(2) محمد صالح ناصر: الشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض مصلحًا وزعيمًا: 20.

معشر المسلمين؟ أم لأجل ابن إباض ومالك تشاققنا؟ وأيّ غضاضة فِي أن يكون قومٌ من أتباع هذا وقوم من أتباع ذاك؟»[1].

**ثالثًا: ضبط مسائل الاعتقاد**

توسعت مسائل العقيدة وتضخّمت، وتجاوزت ما كان معروفًا عند نزول قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة:03) وكان الصراع المذهبيّ والسياسيّ سببًا رئيسًا في استحداث مسائلَ واعتبارها من العقائدِ الأساسية، «فقد كانت معظم العقائد المدوّنة فِي كتب العقائد تعبّر عن مراحل تاريخية من مراحل الصراع السياسيّ والمذهبيّ فحسب»[2].

من خصائص المنهج العقديّ عند الشيخ بيّوض ضبط مسائل الاعتقاد التي يتعيّن علَى المؤمن أن يعتقدها ويكون له موقف ثابتٌ فيها، حيث أخرج من مسائل الاعتقاد ما ليس منها، ممّا حفلت به كتب العقائد، فسعى إِلَى حصر هذه المسائل فِي القضايا الإيمانية التي تسند إِلَى أدلّة قطعيّة الدلالة والثبوت من الكتاب أوالسنة، فبمناسبة حديثه عن قضية المفاضلة بين الملائكة وبني آدم –مثلاً– قال: «ولا يمكن أن يعتقد فِي شيء من هَذَا إِلاَّ إذا كان هنالك دليل عن النبيء ﷺ أو عن الله تعالى فِي كتاب، ولا دليل قاطع»[3]؛ ونقيس على ذلك جميع الآثار والروايات مهما اشتهرت، ما لم تبلغ درجة القطع من حيث الثبوتُ والدلالة، فهي لا تُردّ من أجل انعدام هذا الشرط، ولكن لا ترقى إلى درجة الاعتقاد، «وقد

(1) حمو بن عمر فخار: كان حديثًا حسنًا، نشر جمعية التراث– القرارة– الجزائر، ذو القعدة 1420هـ/فيفري 2000م: 31-32.

(2) حسن بن فرحان المالكي: قراءة في كتب العقائد (المذهب الحنبليّ نموذجًا): 22.

(3) في رحاب القرآن، سورة الإسراء: 1/48-49.

اشتهرت هذه الروايات، ولا يضيرنا نحن أن تكون أو لا تكون؛ لأنَّها ليست مسألة عقديَّة»[1].

لا يُلزم المؤمن باعتقادِ رأيٍ معيَّن فِي مسألة- لا تستند إلى دليلٍ قاطع - وتخطئةِ من اعتقد رأيًا سواه، لأنَّ الأدلّة التي لم تبلغ درجة القطع قابلة للنقد والردّ، فيقرّر الشيخ أنّ «المسألة ليست مسألة اعتقاد»[2]، ومن ذلك قوله فِي ما روي عن مقدار عذاب أبي طالب فِي النار، فبعد أن استعرَض جهود أبي طالب في الدفاع عن الدعوة الإسلامية فِي مهدها، وذكر الرواية التي تنصّ على أنه أقلُّ أهل النار عذابًا، وهو أنه «يقف في ضحضاح من النار يغلي بها دماغُه أبد الآبدين»[3]، قال: «هذا ما ورد والعلم عند الله، وليس هذا بالعقيدة التي يجب أن نعتقدها، وَإِنَّمَا الذي نعتقده أَنَّ أصحاب النار هم دركات وعذابهم متفاوت، كما أَنَّ أصحاب الْجَنَّة درجات ونعيمهم متفاوت»[4].

ولهذا المنهج أبعاد منها:

1- بناء الاعتقاد عَلَى أصلٍ يقينيٍّ حذَرَ أن يُعتقَد فِي شيء أنه مرادُ الله وَهُوَ فِي الحقيقة غير ذَلِكَ.

2- المحافظة عَلَى الوحدة الإسلامية، وذلك بتضييق مجال الاختلاف وسدّ أبواب الخلاف، ذَلكَ أَنَّ إدراج قولٍ ضمن "مسائل الاعتقاد" يستلزمُ إخراجَ المخالف فيها من

(1) في رحاب القرآن، سورة الدخان: 12/18.

(2) في رحاب القرآن، سورة الإسراء: 49/1.

(3) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيءَ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ».البخاري: الصحيح، كتاب المناقب، باب قِصَّة أبي طالب، حديث رقم 3672، 1409/3.

(4) في رحاب القرآن، سورة الأحقاف، 326/18-327.

الدين، كقضية المفاضلة بين الملائكة وبني آدم التي قال الشيخ عن المختلفين فيها: «ومن الغريب أنهم كفّروا بعضهم ولعن بعضُهم بعضًا، والمسألة ليست مسألة اعتقاد»[1].

إنَّ مسلسل الإضافات إلى العقيدة فرّق المسلمين، ذلك أنّ المؤلفين فِي العقائد « أدخلوا فِي العقيدة أمورًا أخرى ووسّعوا جانب العقيدة مع تشدّد على المخالفين فأدخلوا مباحثَ الصحابةِ والدجالِ والمهديِّ المنتظر والمسحِ على الخفَّين والجهرِ بالبسملة وغير ذلك... وأصبح المخالف فِي شيءٍ من ذلك مبتدِعًا عندهم»[2].

وقد صرّح الشيخ بهذا البعد العقديّ فِي مناقشته "القول بخلق حواء من ضلع آدم" مؤكدًا عَلَى أنها مسألة ظنية لا ترقى إلى اليقين والاعتقاد كمسألة خلق آدم من تراب، التي صرّحت بها النصوص القرآنية، وفي الأخير ذكر الشيخ سببَ تأكيده عَلَى أنَّ هذا القول ليس من مسائل الاعتقاد: «... هذا ما يجب أن نقوله حتى لا يعتمد أحدٌ عَلَى بعض الروايات —وإن اشتهرت– ويعتقدها حتى ينكر مَن خالفها أو قال بغيرها، والخطر كلّ الخطر إذا وصل إلَى حدّ التكفير والتفسيق والتضليل!»[3].

3- توفير الجهد للأئمة وسائر أفراد الأمّة للبناء الفكريّ والحضاريّ بدل استنزافها فِي قضايا مفتعَلة ومعاركَ كلاميةٍ نحن فِي غنًى عنها كمسألة "خلق القرآن" التي يرى الشيخ أنها فتنة أوقدها بعضُ مَن دخل الإسلام مكرًا به وإيقاعًا بين أهله[4].

**رابعًا: التركيز علَى مسائل الاعتقاد**

(1) في رحاب القرآن، سورة الإسراء: 49/1.

(2) حسن بن فرحان المالكي: قراءة في كتب العقائد (المذهب الحنبليّ نموذجًا) :27.

(3) في رحاب القرآن، سورة صَ: 221/15.

(4) في رحاب القرآن، سورة العنكبوت: 209/9؛ الفتاوى: 22/1.

إنَّ الغاية من البحث تحدّد طبيعة الوسائل الموصلة إليها، وقد تبيّن لنا أَنَّ من أَوْلَى مقاصد الشيخ بيّوض تحقيق الوحدة الإسلامية، لذلك لم يولِ اهتمامَه بمسائل الخلاف وصناعة الردود، بل ركز جهوده عَلَى استخلاص العبرة، وكثيرًا ما يطرح تساؤلات واحتمالات ويعقّب قائلاً: «كلّ هَذَا لا يعنينا»[1] إنما يُعنَى الشيخ بالمسائل التي يتعيّن علَى المؤمن أن يعتقدها ويكونَ له موقف ثابتٌ فيها، دون الاشتغال بسواها من القضايا المحشورة فِي كتب العقائد، لأن البحث فيها لا يثمر إلاَّ حيرةً وفُرقةً، فحين حديثه عن نار جهنّم– مثلاً– تساءل عن المسافة التي تفصل بين الأشقياء وجهنّمَ حَتَّى يسمعوا زفيرها وشهيقَها فأجاب: «إلاَّ أَنَّ هَذَا لا شأن يتعلّق به، ولا نحن مضطرّون إليه لفهم معنى الآية أو استخلاص العبرة منها»[2].

وعند وصف اصطراخ المجرمين فِي النار وهم يسألون ربّهم أن يخرجهم منها ليعملوا صالحًا، تساءل عن المدة التي تفصل بين سؤالهم وجوابِ الله لهم، وأورد قول بعض العلماء ولكن لم يتبناه لمخالفة شرطه، ثُمَّ قال: «أمّا طول هَذِهِ المدّة فلم يصحّ فيها شيء عن الله ﷻ ولا عن النبيء ﷺ فلا نقطع بشيء ولا نعلم مقدارها أهي بعد ساعة أو بعد يوم أو بعد عام، أو بعد ألف عامٍ، أو مليون سنة أو أكثر من هَذَا، لا ندري، **إنّما يعنينا جوابُ الله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (فاطر: 37)»[3].

---

(1) في رحاب القرآن، سورة مريم: 559/3.

(2) في رحاب القرآن، سورة الكهف: 237/2.

(3) في رحاب القرآن، سورة فاطر: 518/13.

ومن المسائل التي اعتبر الشيخ البحثَ فيها فضولاً السؤالُ عن كيفية وحي الله إِلَى أمّ موسى عليه السلام، هل أراها الله ذَلِكَ فِي المنام أم جاءها مَلَك فكلّمها، وهل هو جبريل أو غيره؟ «وأرى أَنَّ هَذَا فضولاً، ولا ينبغي الدخول فيه»[1].

– وكذلك مسألة التفاضل بين الملائكة، «ولا ندخل فِي هَذَا التفضيل بينهم، إِلاَّ ما ثبت من قرآن أو خبرٍ صحيح عن النبيﷺ»[2].

– والبحث عن كيفية تشكل الملائكة والجنّ، فنعتقد أَنَّ الله أعطى لها قدرةً عَلَى التشكلِ، أما السؤال عَن تفاصيل ذَلِكَ فَ«لا طائل تحتها مطلقًا، وليس لنا فيها حظٌّ من النظر، فلا يضيع أحدنا وقته فيها سدًى، وهي ليست كالحِكم التي نبحث فيها للاطلاع عليها»[3].

– وكذا مسألة البحث عن اسم مؤمن آل فرعون، الذي قال عنه الشيخ: «ولو علم الله تعالى فائدة فِي ذكر اسمه الشخصيّ لذكره، ولكنّ الله تعالَى لم يخبرنا به واكتفى بقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّومِنٌ مِّنَ . الِ فِرْعَوْنَ﴾ وكلّ بحث فِي اسمه ليس له معنى»[4]، ذلك أنّ القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، وليس كتاب تاريخ وقصص فلا يَرَى فائدة فِي ذِكْر الأسماء.

كما توقف الشيخ عن اعتقاد ما ورد من أخبار فِي تفاصيل وصف العرش، بل قال: «فليس من الشيء الكثير الذي ورد فِي هَذَا خبرٌ يقينيٌّ يُعتَمدُ عليه... ولندَع هَذَا إِلَى الله، وإنما الذي نتيقّنه أن وصف العرش بالعظيم... نؤمن بأنّ العرش خلقٌ موجودٌ، وأن الله تعالَى

(1) في رحاب القرآن، سورة القصص: 265/8.
(2) في رحاب القرآن، سورة الصافات: 577/14.
(3) في رحاب القرآن، سورة مريم: 59/3.
(4) في رحاب القرآن، سورة غافر: 129/16..

جعل له حملةً، وحملته من خيار خلقه»[1]؛ فإن البحث عن التفاصيل التي سكتت عنها النصوص الصحيحة يشتّت فكر الدارس ويحجبه عن إدراك مرادها والاعتبار بها.

وبما أَنَّ أمورَ الغيب لا تؤخذُ إلاَّ من القرآن أو السنة الصحيحة، فإن منهج الشيخ يعتبر السؤال عمّا ليس فيه دليلٌ قطعيٌّ تكلّفًا وفضولاً، فدأب عَلَى توجيه سائليه إِلَى الاهتمام بما يثمر البحث فيه إيمانًا وعملاً للمعاش والمعاد، ومن ذَلِكَ توجيه أحد سائليه عن مسائله التي تعدم الدليل القاطع: «فجوابنا عن سؤالك هَذَا هو: "الله أعلم"... والاشتغال بغير هذا من المهمات الدينية والدنيوية أولى وأحرى، لأنَّ البحث فيما سألت عنه لا يأتي بنتيجة مطلقًا مهما طال وامتدَّ، فلا يعدو أن يكون تضييعًا للعمر فيما لا فائدة فيه»[2].

وبالمقابل فإنّ الشيخ يركز الكلام فِي قضايا الإيمان التي يجب عَلَى المؤمن اعتقادها، ويطيل الحديث فيها قصد التذكير والإقناع، خاصّة فِي القضايا التي أحسّ فيها من مخاطَبيه الشكّ، تأثّرًا بالأفكار الوافدة، وقد يصرّح الشيخ بهذه الطريقة، ومن ذلك قوله بعد طول بيان فِي موضوع "تزيين سوء العمل للإنسان": «وهكذا **إِنَّمَا أطلت في هذا البيان لنحْذَرَ** من طبقة الملاحدة وطبقة الشباب المنحرفين الذين يحسبون أَنَّهُم يحسنون صنعا بإنكار الأُلُوهِيَّة وإنكار البعث، وبالسخرية من شعائر الدين ومن المتمسّكين بها، ويظنُّون أنفسَهم العقلاءَ وغيرَهم الجهلةَ المغفَّلين، إذ يؤمنون بما لا يرون، ويصدِّقون بما لا حقيقة له، على أَنَّ الله تعالى وصف المؤمنين أَوَّل ما وصفهم بقوله: ﴿الَذِينَ يُومِنُونَ بِالغَيْبِ﴾ (البقرة: 2)»

(1) في رحاب القرآن، سورة غافر: 16/27-28.

(2) إبراهيم بيّوض: الفتاوى: 1/70.

[1]. وكان الشيخ يحذّر من البحث عن الكيفية في الشؤون الخاصة للذات الإلهية، لأنها مضيعة للوقت ومظنة للشك والزيغ، ويؤكد على ضرورة الإيمان إيمانًا غيبيًّا.

***خامسًا: التحرّر من التعصّب المذهبيّ***

يشهد واقع المسلمين قديمًا وحديثًا خلافات تتأزّم في بعض الفترات من تاريخهم فتسفر عن حروب كلامية أو دموية... يعدُّ التعصّب المذهبيّ إحدى الأسباب الرئيسة لهذه الأزمات، ويرى الشيخ بيّوض أن المشكلة ليست في تعدّد المذاهب، إنما هي في التعصب للمذهب، ذلك أنَّ التعصب المذهبيّ بدعة ظهرت فِي الأتْباع، أما الأيمة فقد كان الواحد منهم يقول: «"إذا صحّ الحديث فهو مذهبي"، أو "إذا صحّ الحديث فاضربوا بكلامي عرض الحائط"»[2].

إنَّ المتفحِّص لتراث الشيخ بيّوض العقديّ يلحظ فيه ترفعًا عن التعصب لمذهبه الإباضيّ من حيث هو مذهبُه، وأنه كان يدعو إِلَى الحقّ من حيث هو حقٌّ لقوّة حجّته، وبيان ذَلِكَ:

**01- نبذ التقليد**

تبرز خاصية نبذ التقليد فِي منهج الشيخ بيّوض من خلال دروسه ومواقفه، بل كان ينهى طلبته ومحبّيه أن ينصروه تقليدًا، يرشدهم إِلَى الرويّة وتحكيم العقل لقَبول القضايا أو ردِّها عن قناعة ولو تعلّق الأمر بشخصه، ومن ذَلِكَ قوله: «إخواني وأبنائي لا أرضى ممّن يكون معي أو ينصرني تقليدًا، أريد أن يزن الناس كلامي بميزان العقل الصحيح الخالي من

(1) في رحاب القرآن، سورة محمد، 481/18.

(2) إبراهيم بيّوض: روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم فِي العالم الإسلاميّ، محاضرة ألقاها بالملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، تيزي وزو، 1393هـ/1973م: 820/2.

الأغراض، فإذا اقتنعوا بالحقّ أخذوه وحمدوا الله عليه، وإن وجدوه باطلاً ضربوا به عُرض الحائط»[1].

فكان الشيخ ينبذ التقليد فِي خطاباته وسلوكه، ففي درس التفسير –مثلا– الذي يُعدّه بالرجوع إِلَى مصادر متنوعة، تبرز شخصيته فِي طريقة التحليل والنقد والعرض... «فلم يكن هَذَا التفسير صدًى لأيّ فكرة سابقة أو مذهبٍ معيّن، بل كان فيه المفسرُ حرَّ الفكر منطلق الرأي لا ينتهي إِلاَّ إِلَى ما يطمئنُّ إليه عقلُه وضميرُه»[2].

لم تكن حال الشيخ مع قومه بدعًا من حال الدعاة المجدّدين مع أقوامهم، لأنَّ من طبع البشر أن يتهيّبوا من الفكر الجديد ويتمسكوا بالمألوف التليد، بحجة أنهم وجدوا عليه الآباء والأجداد، ويجد الداعية صعوبة في الإقناع بوجوب اتباع الحقّ المؤيّد بالحجة والبرهان، قال الشيخ بيّوض: «ليس لك أنْ تقول: أوائلنا أو آباؤنا، وَإِنَّمَا ليس لك إِلاَّ حُجَّة عَقلِيَّة تقولها إذا قلت، أو حُجَّة نَقلِيَّة عن المعصوم، أَمَّا كلمة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾، فقد نَعَى الله تعالى عليها فِي كتابه فِي آيات كثيرة، لأَنَّهَا حُجَّة الضالِّين المتمسِّكين بعاداتهم وتقاليدهم، ومن العجيب أنْ يتمسَّك بها بعض من يزعم الإسلامَ والتمسُّكَ بالدِّين، فإذا دُعِي إلى ترك بِدْعة يقول: إِنَّا وجدنا آباءنا؛ أَمَّا لو قلت: هذا كلام الله، أو سنَّة رسول الله ﷺ، أو ما أَجْمَعَت عليه الأُمَّة، فعلى الرأس والعين، أَمَّا قولك: إِنَّا وجدنا آباءنا، فَهَذَا باطل»[3].

---

(1) خطبة الشيخ بيّوض فِي غرداية شهر سبتمبر 1949م، ر. محمد علي محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح فِي الجزائر: 87/4.

(2) مسعود فلوسي: الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض وتفسيره "فِي رحاب القرآن"، أعمال الملتقى الأول لفكر الشيخ بيّوض: 307.

(3) في رحاب القرآن، سورة الزخرف:462/17.

ضرب الشيخ بيّوض مثالا لتوضيح قيمة الحجّة وتهافت الادّعاء والتقليد فقال: «وإذا مثّلنا المناظرة بميزانٍ ذي دفّتيْن، فضَع الحُجَّة في دفّة والادِّعاء في الكفّة الأخرى فانظر أيَّهما يغلب، إنَّهُ لا قيمة لقولك: «إنَّا وجدنا آباءنا»، إنَّهُ يُنسَف نسفًا، أَمَّا أبوك وجدُّك فقد لاقَوْا ربَّهم، ولست مسؤولا عنهم، هذا ما يجب أنْ تفهموه، إنَّ الاعتماد عَلَى هَذِهِ المقولة لَمصيبةٌ عظمى، ولقد عانَيْنا منها كثيرا أَكْثَر من نصف قرن . ولا نزال . في حركة الإصلاح ومحاربة البدع»[1]؛ إنَّ نبذ التقليد والتحرّر من التعلّق بالمألوف التليد يسهم فِي اتباعِ الحقّ بغضّ الطرف عمّن جاء به، وهذا يُعَدُّ خطوة عملية شجاعة في سبيل تحقيق وحدة المسلمين.

إذا أشربت القلوب طباعًا يصعب عَلَى أربابها تغييرها، فما عَلَى الداعية إلاَّ أن يتدرّع بالجرأة والصبر لإصلاح ما كان منها مخالفًا للصواب بالحكمة وقوّة المنطق لا بمنطق القوّة، كذلك كان الشيخ بيّوض «يزيل الشبهاتِ العالقةَ ببعض الأذهان، مبيّنًا المقاصدَ العليا للشريعة الإسلامية أو مجيبًا عن بعض الأسئلة الواردة فِي الموضوع بفصاحته المعهودة، وقوّة شخصيته المؤثرة، غير متملّقٍ ولا مدغدغ لعواطف الجمهور ممّن لا يزال يرزح تحت وطأة التقاليد، ولا ينفكّ عن قيود المألوف، وَهوَ الخبير بطبع المجتمع الذي يخاطبه، والحكيم فِي استغلال الفرص المواتية والظروف المناسبة لإحداث التغيير دون رجّةٍ تخلخلُ أركان المجتمع، أو ضجّةٍ تعكّرُ هدوءه واستقراره»[2].

## 02- عدم التقيّد بحرفية النص

(1) في رحاب القرآن، سورة الزخرف:464/17.

(2) إبراهيم بيّوض، حديث الشيخ الإمام فِي صلاة الجمعة وما لها من الأحكام، الحلقة الثانية، إعداد وتنسيق الشيخ محمد إبراهيم سعيد (كعباش):55.

يتميّز منهج الشيخ بيّوض العقديّ بالمرونة فِي عدم المشاحة فِي الألفاظ، مع التنبيه إِلَى الفهم الخاطئ الذي قد تحتمله العبارة، وتبيين وجه الصواب وتأصيله ومن ذَلِكَ عدم اشتراطه دخول العمل الصالح فِي مفهوم "الإيمان" حيث يقول: «أما مفهوم كلمة "إيمان" هل يدخل فيه العمل الصالح أم لا؟ فهذا لا يهمّ، ولو كان محلَّ نزاع... كلّ هَذَا لا يضرُّ، وإنما الذي يضرُّ، والذي لا يجوز أبدًا، ويُعتبَر مروقًا من الملّة والشريعة أن يعتقد أحدٌ أنه يُجازَى عَلَى عقيدة قلبه وإن لم يعمل العملَ الصالح الذي يجب عليه شرعًا، هَذَا الذي يخالف ما فِي القرآن من فاتحته إِلَى خاتمته، ومخالفٌ لكلّ ما ورد فِي الحديث»[1]؛ ذلك أنّ "العبرة بالمعاني لا بالمباني"، خاصّة في الحالات التي تشكل فيها المشاحة في الاصطلاح حاجزاً عن النفاذ إلى روح النصّ واستجلاء معانيه.

### 03- توحيد المرجعية

يعنى بتوحيد المرجعية — في هذا السياق- الرجوع بالمسائل إلى مصادرها الأولى قبل حدوث الخلاف المذهبيّ فيها، وقبل أن تعتريها التفريعات والبدع، وقد كان الشيخ فِي مسيرته العلمية وحركته الإصلاحية حريصًا عَلَى تأصيل المسائل والمواقف التي يتبناها عَلَى ركيزتي النص والعقل، ومن ذلك دعوته المتمسّكين بتراث الأوائل أن يقتدوا بالرجل الأوّل فِي الأمة وهو الرسول ﷺ: «ونحن نقول مثل هذا الكلام للذين يتمسَّكون بالبِدع بناء على قولهم: إنَّا وجدنا آباءنا، أو إنَّا وجدنا أوائلنا ومشايخنا، نقول لهم: إنَّ أوَّلكم هو النبيء ﷺ، هل فعل شيئا مِمَّا تفعلون أمْ لا؟ فقولكم: «إنَّا وجدنا آباءنا» لا يقوم حُجَّة إذا عارض آية صريحة أو سنَّة صحيحة، وقولكم هذا قد يُقْبَل ما لم يُعارِض الطريق الذي سلكه السلف الأوَّلون: النبيء ﷺ الذي قال فيه الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ

(1) في رحاب القرآن، سورة الحج: 217/4.

لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 21)، ومَن بعدَه من خلفائه وصحابته ﷺ»[1].

ومن ذلك أيضًا تبيينه أن اشتراط العمل لصحّة الإيمان هو مذهب القرآن والسنة، حيث قال بمناسبة تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُومِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ (الأنبياء: 94): «أريد أن أوضّح عقيدةً من العقائد تعرّضت لها هَذِهِ الآية، ونصّت عليها نصًّا صريحًا، وقد وقع فيها خلاف كبير بين الأمّة، وما كان ينبغي، وأبيّن فيها المذهب الحقَّ مذهبَ القرآن ومذهبَ الحديث، ومذهبَ علماءِ الحديث كلّهم»[2].

وقد رجّح الشيخ بيّوض جواز التعجّب فِي حقّ الله سبحانه وتعالى، مستندًا إِلَى أدلّة من الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ (الكهف: 26)، «والحقّ هو الجواز، ولا أعلمَ بما يليق بجلال الله تعالى من الله تعالى، ثُمَّ من رسوله ﷺ فلنسلك طريقهما»[3].

كما كان الشيخ يحثُّ طلبته عَلَى روح البحث والمقارنة والنقد « ليطلعوا عَلَى أقوال المذاهب الإسلامية ويقارنوا بينها فيدركوا بالأدلّة القويّة الأصحَّ منها، فلا يكونوا مقلّدين، ويعلّمهم فنّ البحث والنقد»[4]؛ ومن المسائل التي اتّخذ فيها الشيخ بيّوض موقفًا مستقلاً استنادًا إلى توحيد المرجعية:

---

(1) في رحاب القرآن، سورة الزخرف:17/ 465.

(2) في رحاب القرآن، سورة الأنبياء: 216/4.

(3) في رحاب القرآن، سورة الكهف:149/2.

(4) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر: 372/1.

### أ– موقف الشيخ بيّوض فيما شجر بين الصحابة ﷺ

اصطفى الله لنبيّه صحابة أخيارًا من المهاجرين والأنصار، جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الله فاستحقّوا نصرته ورضوانه، وألزمهم كلمةَ التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلَها، وقدّر الله أن يبلوَ هَذَا الرعيل الأول بفتن سالَت بسببها دماءٌ وزهقت أرواحٌ...

كانت هذه الأحداث ابتلاءً للأمّة الإسلامية من حيث تصدّعُ صفِّها ومن حيث الخوضُ فيها إشباعًا لفضولٍ أو انتصارًا لحزب، أو تبيّنًا قصدَ تطبيق الوَلاية والبراءة الشخصيتين.

يرى الشيخ بيّوض وجوبَ الوقوف وعدمَ الخوض فيما شجر بين الصحابة الكرام، مهما كان مبرّر الخوض فِي أعراضهم، «فلن يستطيع اليومَ أحدٌ أن يقول: "إِنَّ الواجبَ عَلَى المسلمين أن يبحثوا فِي تلك الفتن حتى يعلموا المحقَّ من المبطل والظالم من المظلوم»[1]، وحجّته فِي ذلك:

– أولاً: إِنَّ الله تعالى لم يكلّفنا أن نحكم بينهم[2]، فلم يبتعثنا قضاةً عَلَى الناس، بل هو الذي يحكم بينهم يوم القيامة، حيث يقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (الزمر: 46).

ثانيًا: لسنا مسؤولين عمّا شجر بينهم بل ينطبق علينا كلِّنا قولُه تعالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: 134)[3].

---

(1) إبراهيم بيّوض: فضل الصحابة والرضا عنهم:74.

(2) في رحاب القرآن، سورة الزمر:420/15-421.

(3) إبراهيم بيّوض: فضل الصحابة والرضا عنهم:74.

كما استدل الشيخ بطائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبيّن فضل الصحابة رضوان الله عليهم خاصة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، منها:

1- قوله تعالى: ﴿وَالذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُومِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: 74) وركز الشيخ عَلَى وعد الله لهم بمغفرة ذنوبهم، «إِنَّ الأمر الذي يهمّنا فِي معرض حديثنا عمّا جرى من الفتن بين الصحابة هي قضية التوبة والمغفرة التي وردت فِي كثير من الآيات الكريمة السابق ذكرها»[1].

يشترط فِي المتولَّى أن يكون موفيًا تائبًا عمّا صدر عنه من ذنوب، وقد برهن الشيخ بيّوض أَنَّ السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار ذنوبُهم تقع مغفورةً، فهم مؤمنون حقًّا وقد رضي الله عنهم وَهوَ يعلم أنهم سيُفتَنون، ولذلك فهم فِي الوَلاية وقد أمرنا الله بالاستغفار لهم، «ومن قواعد الشرع الثابتة عدم الاستغفار لمشرك أو لكافر أو لمن يُبرأ منه»[2].

2- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: 110) «فإن كانت هذه الآية واردة فِي حقّ هؤلاء السابقين الأولين فما بقي لهم من الذنوب ياترى؟»[3].

3- قوله تعالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: 18).

---

(1) إبراهيم بيّوض: فضل الصحابة والرضا عنهم: 44.

(2) م.ن: 49.

(3) م.ن: 35.

إنَّ ما حدث بين الصحابة من فِتنٍ وقعَ بعد نزول هذه الآيات التي يمنّ الله فيها عليهم بمغفرته ورضوانه إلاَّ أنه سبحانه وتعالى علاّم الغيوب، فلا تتبدّل وَلايته ولا عداوته، وهذا ممّا استدلّ به الشيخ بيّوض أَنَّ ذنوب هؤلاء المؤمنين حقًّا لا تقع إلاَّ مغفورة،: «ولنتيقن ولنعتقد كلَّ الاعتقاد أَنَّ ولاية الله وعداوته لا تتبدّلان ولا تتحوّلان، فهؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وأكّد توبتهم ومغفرتهم بتأكيداتٍ عديدةٍ لا غرابةَ أن يُقال فيهم: لا تقع ذنوبهم إلاَّ مغفورةً»[1] ومعنى ذَلكَ أنهم «يوفّقون إِلَى التوبة والاستغفار، ولا يصرّون عَلَى ذنب، فالمغفرة حقّت لهم، وكأنها حقٌّ من حقوقهم»[2] وما داموا قد أُلزموا كلمة التقوى فيصدُق فيهم قولُ الله عزّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ الذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: 201).

كما استدلّ الشيخ بيّوض ببعض الأحاديث التي تبين فضل الصحابة ﷺ خاصة المبشّرين بالجنة، منهم الخلفاء الراشدون «ولكلٍّ منهم مزايا وفضائل لا تكاد تعدُّ، وقد حكم عَلَى إيمانهم بأنه حقٌّ وأنهم فائزون وأنه رضي الله عنهم وأنه تاب عنهم، والنبيء ﷺ بشّرهم واحدًا واحدًا بالجنّة»[3].

(1) م.ن: 67-68.

(2) م.ن: 17.

(3) إبراهيم بيّوض: فضل الصحابة والرضا عنهم: 37.

ومن هذه الأحاديث رواية قصة حاطب بن أبي بلتعة الذي قال الرسول ﷺ فِي حقه: «ما يدريك يا عمر لعلّ الله اطّلع عَلَى أهل بدر فقال: "اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[1]»[2].

أما من الناحية العقلية فقد استدلّ الشيخ بيّوض عَلَى وجوب الكفّ عن الخوض فِي أحداث الفتن بموقف بعض الصحابة الذين لزموا الحياد فِي فتنة الدار والجمل وصفين، «فإذا كان هَذَا موقف بعض الصحابة زمان هذه الفتن يوم وقوعها، أنأتي نحن من بعدهم بعد مئات السنين فنخبّ ونضع فِي هذه المسألة؟ ! فالواجب إذن هو عدم الخوض»[3].

### 2- موقفه من عثمان بن عفان رضي الله عنه

إن كان الله قد خصّ أهل بدر بفضل المغفرة، ومنَّ على صحابة رسوله ﷺ الذين بايعوه تحت الشجرة بالرضوان فإنّه ممَّا يستند إليه الطاعنون في حقّ الخليفة عثمان رضي الله عنه، كونه لم يشهد بدرًا ولا البيعةَ، أمّا الغياب عن بدر فلكونه ممّن حبسهم العذر، ذلك أنه رغبَ في أن يشهدها إلاّ أنَّ زوجته رقيةَ اشتدّ مرضها فأمره الرسول ﷺ بالبقاء معها لتمريضها، وقال له: « إنَّ لك أجر رجل ممّن شهد بدرًا وسهمَه»[4]، أما عن بيعة الرضوان التي قال الله عن أصحابها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح:18) فيؤكد

(1) البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب "لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء" حديث: 4608، 1855/4؛ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة، حديث: 2494، 1941/4.

(2) إبراهيم بيّوض: فضل الصحابة والرضا عنهم: 55، فِي رحاب القرآن، سورة الإسراء: 236/1.

(3) إبراهيم بيّوض: فضل الصحابة والرضا عنهم: 76.

(4) عبد الستار: الخلفاء الراشدون حياة ماجدة وأعمال خالدة،ط1، دار القلم، دمشق، 1420هـ/2000م: 268.

الشيخ بيّوض أنها وقعت من أجل عثمان ﷺ سفير رسول الله ﷺ إلى قريش، وقد بايع مكانَه، منوِّها بالأدب العالي الذي يتحلّى به، إذ رفض الطواف بالبيت وقد أذن له المشركون في ذلك، وقال: "لا طواف والنبيء ﷺ عنه ممنوع"[1].

وخلاصة موقف الشيخ بيّوض من الصحابة ﷺ هي «الرضا عنهم جميعًا، والاستغفار لهم كما أمرنا الله تعالى، والوقوف فيما شجر بينهم، هذه هي الخلاصة، وهذا ما أعتقده وأدين الله تعالى به»[2].

ما أحوج المذاهبَ الإسلامية إلى نقدٍ داخليّ موضوعيٍّ لتراثها، بتوحيد مرجعية المسائل والعودة بها إلى مصادرها الأصليّة، ومراعاة المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، وفقه الواقع لحسن تنزيلها في الحياة اليومية.

### 04: الاستشهادُ بأقوال أيمّة المذاهب وتثمينُ مواقفهم

ممّا يدل عَلَى إنصاف الشيخ بيّوض وتحرّره من التعصّب المذهبيّ استشهاده — في دروسه المسجدية، لتبيين مسائل الإيمان– بأقوال أيمّة المذاهب، ومن ذلك قوله فِي موضوع الحصانة الإيمانية والتحذير من التعلّق بالشبهات: «كما قال الإمام مالك: "لا يكن قلبك كالإسفنجة تتشرب الشبهات، وليكن كالزجاجة التي تَدفع ولا ينفذ منها إلاَّ النور»[3].

فأهداف الشيخ الإصلاحية رقّته من النظرة المذهبية الضيقة إلى رحابة العمل الإسلامي الواسع، والدوران مع الحق مهما كان مصدره، والتوسل بالحكمة أنّى وجدها، فأثناء حديثه عن موضوع الصبر — مثلاً– استعرض نماذج للصابرين من رجالات الإسلام

(1) في رحاب القرآن، تفسير سورة الفتح، ج 19، نسخة المسودة (الرقمية).

(2) إبراهيم بيّوض: فضل الصحابة والرضا عنهم: 02.

(3) في رحاب القرآن، سورة طه: 3/365-366.

بغضّ الطرف عن انتمائهم المذهبيّ، ومن ذَلِكَ حديثه عَن الأعلام الذين وُفّقوا فِي تحويل مِحَنهم إِلَى مِنحٍ، كابن تيمية الذي قال الشيخ بيّوض عن محنته: «فقد حُبس ابن تيمية فقال: " ما خلوت إِلَى ربّي ولا انقطعت من الدنيا أكثر من أيام السجن"»[1].

ذهب الشيخ بيّوض إلى أبعد من هذا حيث استشهد بيقين بعض أيمّة المذاهب وثباتهم فِي قضايا تتعارضُ وموقفَ مذهبه، ومن ذَلِكَ ثبات الإمام أحمد بن حنبل فِي محنته لأجل موقفه فِي قضية "خلق القرآن"[2] مركزًا عَلَى الآثار الإيجابية للإيمان، وأبعاده العملية، منها الثبات فِي كل الأحوال والأزمات، وإن كان صاحبه مقيّدَ الأيدي والأرجل فِي سجنٍ مظلم، حيث يقول: « وقد رويت بعض الكلمات عن بعض المسجونين، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل الذي اعتبر السجن خلوةً مع الله تعالى، فحمدها وشكرها، وقال: لقد قدّموا إليّ خدمةً كبرى، لأنهم قطعوني عن شواغل الدنيا كلِّها حَتَّى أخلوَ إِلَى الله...»[3].

ثمَّن الشيخ بيّوض موقفًا آخر من مواقف الإمام أحمد بن حنبل، ويتعلّق بجوابه أحدَ السائلين عن قول بعض العلماء "إنَّ السنة قاضية على الكتاب ؟" حيث تحرّج الإمام من هذا التعبير وقال: "ما أجسُر على هذا أن أقوله، إن السنة تفسر الكتاب وتبيّنه"، أبدى الشيخ بيّوض إعجابه بهذا الجواب وعلَّق عليه بقوله: «هذا والله هو الفقه فِي الدين، وهذا هو خلق العلماء الحقيقيين، "ما أجسُر على هذا أن أقوله"، ما أحلاها من كلمة فِي ذوق المؤمن! وإنها – والله– لتكشف عن سرٍّ ما وقر فِي صدر هذا الرجل العظيم»[4].

---

(1) فِي رحاب القرآن، سورة الروم: 360/10.

(2) م.ن: سورة القصص: 359/8.

(3) فِي رحاب القرآن، سورة فاطر:477/13.

(4) إبراهيم بيّوض: روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم فِي العالم الإسلاميّ: 783/2.

كما كان الشيخ بيّوض يوجّه المستفتين إِلَى التوسّع فِي القضايا التي يسألونه عنها إلى الاِطّلاع عَلَى كتب أعلام الإسلام من خارج المذهب الإباضيّ، ومن ذلك قوله: «وعليك بالاطلاع عَلَى ما كتبه الإمام الحجّة الشيخ رشيد رضا فِي تفسير المنار... وإن أردت توسّعًا أكثر من ذَلِكَ فعليك بكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية المسمَّى " قاعدة جليلة فِي التوسّل والوسيلة»[1].

ومن دلائل انفتاح الشيخ بيّوض عَلَى المذاهب الأخرى إدراجه فِي مقرّرات التدريس بمعهد الحياة مؤلفات لعلماء من خارج المذهب الإباضي، في مادة العقيدة فضلاً عن سواها، ومن ذلك تدريسه رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، فقد كان متفتحًا منصفًا يتعاون مع المنصفين، وقد قال فِي إحدى محاضراته بعد أن استعرض أقوال بعض العلماء المنصفين: «هذه عقيدتنا وهذا ما نلقى الله تبارك وتعالى به، وهذا ما ربّينا عليه شبيبتنا»[2].

فتصريحات الشيخ بيوض ومواقفه في النقد البنّاء للأقربين وتثمين مواقف أيمّة المسلمين تنمّ عن تحرّره من التعصّب المذهبيّ، وهي خطوة أساسية جريئة في تحقيق وحدة المسلمين، واستجابة دعوات المخلصين منهم للمعرفة والاعتراف والتعاون، أمثال عوض خليفات الذي رفع نداءَه من قلب المملكة الأردنية قائلاً: «ونأمل أن يقوم الإباضية فِي شمال إفريقية بالانفتاح على بقية المسلمين وفتح مكتباتهم للباحثين العرب والمسلمين حتى

(1) إبراهيم بيّوض: الفتاوى: 56/1.

(2) إبراهيم بيّوض: روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم فِي العالم الإسلاميّ: 821/2.

يفهم الآخرون مذهبهم ومبادئهم، وبالتالي يزول الشك ويختفي الحذر وتضيق الفجوة بينهم وبين بقية المذاهب الإسلامية الأخرى»[1].

**سادسًا: البعد الاستخلافيّ:**

غاية الشيخ بيوض من الدرس العقديّ لم تكن متوقّفةً عند شحن الذهن بالمعرفة النظريّة، بل كان يتَوخى منه تزكية النفس وتنزيه الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة الشاملة لكلّ المجالات المناسكية والحياتيّة، وممّا قال في ذلك: «فإذا لم يسيطر التوحيد عَلَى القلب والجوارح، ويتحوّل إِلَى قوةٍ باعثةٍ إِلَى العمل الصالح فلا قيمةَ له»[2]، ولو كانت المعرفة النظرية كافيةً لاستحقّ إبليس اسمَ الإيمان، لإقراره بالله الواحد، وعلمِه بالمصير إليه يوم يُبعثون... فالعلم النافع هو الذي يكون له أثر إيجابيٌّ فِي السلوك، «لأنَّ العلم لو بلغ إِلَى أعماق القلب حيث محلّ اليقين والطمأنينة لرسخ فيها ولعملت الجوارح بمقتضاه»[3]، ومن مقتضيات العقيدة حسن الاستخلاف فِي الأرض، ذلك أنَّ دور المؤمن لا يقتصر عَلَى عمارتها فحسب، كما يتنافس فِي ذَلكَ بقية البشر، بل إنَّ إيمانه يقتضي منه عمارتها وفق المنهج الربانيّ، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: 61).

ينطلق الأنبياء والرسل- ومن سار على نهجهم من المصلحين المجدّدين- من ترسيخ الإيمان، ويسعون لإحكام المرجعيّة الإيمانية بمختلف المواضيع والمجالات التي يريدون إصلاحها، لأنَّ العقيدة هي الوازع الداخلي للوقوف عند حدود الله والاستباق إِلَى الخيرات

(1) عوض خليفات: النظم الاجتماعية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان، دار مجدلاوي، عمان – الأردن، 1982م: 94.

(2) محمد الغزالي، عقيدة المسلم: 136.

(3) فِي رحاب القرآن، سورة: سبأ:215/13.

ابتغاء رضوان الله، لأنَّ الإنسان قد يكون بنجوة من سلطان القانون والمجتمع فلم يبق إلاَّ وازع الله تعالى واليوم الآخر؛ ومنهج عرض العقيدة يؤثّر فِي أبعادها الميدانية، فالصحابة ﷺ لما تلقَّوها صحيحةً صافيةً وأُشربت بها قلوبهم أثمرت فيهم فيضًا إيمانيًّا غامرًا وحركةً إيجابية فِي مختلف مجالات الحياة.

اِجتهد الشيخ بيّوض في الرجوع بالدرس العقديِّ إلى منهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم لاقتناعه أن «لا منهج فِي باب العقيدة إلاَّ منهج الله تعالى فِي كتابه الكريم»[1]، ولهذا المنهج الحركيّ أبعاد منها اتخاذُ الشيخ بيّوض من ميادين الحياة محرابًا للعبادة يغشاها رغبًا ورهبًا، « يُقبِل حيث يظنّ مرضاة الله تعالى ويرجو مثوبته، ويُدبر حيث يتوقّع سخطه ويخشى عقابَه»[2]، فقد كان على يقين أَنَّ الله سيحاسبه إن تولّى عن المرابطة فِي هذه الجبهات، إذ يقول: « **أحسُّ بأنّي ملئتُ إيمانًا من مفرقي إِلَى قدمي بأنني خُلقت لإنقاذ أمتي، وأنّني إذا خرجت إِلَى الدنيا والعمل لنفسي عاقبني الله عقابًا شديدًا**»[3].

نستخلص ممّا سبق أن العقيدة الإسلامية قد شكّلت الدافعَ الأساسَ لحركة الشيخ بيوض الإصلاحيّة، التي طالت مختلِفَ مجالات الحياة التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ذلك لاعتقاده أنّها جميعًا محرابٌ للعبادة، فكما أنَّ المسلم مطالَب بعمارة مساجد الله، فهو مطالَب أيضًا بالريادة في المجال العلميّ والاقتصاديّ والسياسيّ...وغيرها

(1) في رحاب القرآن، سورة العنكبوت: 104/9-105.

(2) حمو بن عمر فخار: كلمة فِي تأبين الشيخ بيّوض، فِي رحاب القرآن (المهرجان والتأبين)، إعداد: محمد صالح ناصر: 125.

(3) إبراهيم بيّوض: رسالة إِلَى الشيخ أبي إسحاق اطفيّش، ضمن كتاب "الشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض مصلحًا وزعيمًا" لمحمد صالح ناصر: 112.

ممّا لا تتمّ عمارة الأرض وفق المنهج الربّانيّ إلاَّ به، إذ أنها ليست مجرّدَ ترفٍ حضاريٍّ، بل هي من مقتضيات الإيمان.